الفكر مرآة الحسنات، وكفّارة السيئات، وضياء للقلوب، وفسحة للخلق، وإصابة في صلاح المعاد، واطلاع على العواقب، واستزادة في العلم. وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها. الإمام الصادق عليه السلام

حقيقة الجمال و معناه

آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (دام ظله)

(١)

الجمال كون الشيء على صفة معجبة ملذّة. وإذا كان المتبادر من لفظه في اللغة هو الجمال المبصر فحقيقة معناه تعمّ غيره من المحسوسات والمتخيّلات، بل تشمل المعاني ايضاً. فان الذي يدرك الشاعر من لطيف المعاني في الأشعار المشتملة على الاستعارات والكنايات ليس إلاّ الجمال، وإن الذي يعجب الحكيم من تناسق الكون وحسن انتظامه، بل يراه صفة ذاتية للوجود، ليس إلاّ الجمال، وإن الذي يروع العارف عند شهوده لملكوت السماوات والأرض ليس إلاّ الجمال.

فالجمال صوريّ ومعنويّ، والمدرك للجمال المعنوي هو الوهم في المعاني الجزئية، والعقل في ما فوقها.

(٢)

ونستنتج من وجدان الجمال في أكثر من مقولة، كونه من سنخ الوجود دون المهية. وهذا كالعلم والوحدة.

والنفس في كل مرتبة تنجذب إلى الجمال الموجود في تلك المرتبة من الوجود. وليس بحيث إذا تجرّدت عن المادّة ولوازمها حُرمت من الجمال والالتذاذ به، بل تزداد إعجاباً والتذاذاً بالجمال العقليّ، ونعني به ما يوجد في ما وراء الحسيّات والمعاني الجزئية.

(٣)

إذا كان المتعارف من الجمال هو الذي يُدرَك من تناسب أجزاء الشيء المركّب، فلا تختصّ حقيقته بالمركبات، بل تشمل البسائط أيضاً.

أترى أن انجذاب الطفل إلى الوردة الحمراء وشعلة الشمعة يكون لشيء غير جمالهما؟ أليس ذلك إلاّ لما يعجبه من اللون الاحمر؟ وهل تحتمل أن جمال الحمرة في نظره إنّما هو بلحاظ الأجزاء وتناسبها؟ وأن الحمرة عرض بسيط.

بل نقول في جمال المركّبات المتناسبة الأجزاء: إنّ الجمال يكون صفة للهيئة الحاصلة من الأجزاء المتناسبة، ونفس الهيئة أمر بسيط.

وقد تتعدّد جهات الجمال من حيث الأجزاء بأنفسها، ومن حيث الهيئة التركيبية.

(٤)

إن النفس لا تتمكن من إدراك الجمال الموجود في المرتبة العالية ما دامت منغمرة في المرتبة السافلة. فإدراكها للجمال العالي دليل على وصولها إلى تلك المرتبة، وهكذا في الجمال الأعلى.

ألا ترى أن النفوس المنهمكة في الشهوات البهيمية قلّما تلتذّ من المعاني اللطيفة؟ وبالعكس من ذلك فان النفوس اللطيفة الشاعرة بالجمال المعنوي لا تهتمُّ كثيراً باللذّات البهيمية.

(٥)

قد عرفنا أن الجمال في الحقيقة صفة للوجود، لكن لا ينافي ذلك اتصاف المهيّات به. والمهيات هي الأعرف عند الإنسان من الوجود، بل لا يعرف من حقيقة الوجود شيئاً إلا بقدر معرفته بنفسه. وهي في الغالب ليست إلاّ شعاعاً ضعيفاً يكاد ينطفي. ولذلك تلتبس النفس بالبدن على أكثر الناس.

فالذي يعرفه كل إنسان من الجمال إنما هو معنى يحصّله من مقايسة بعض الأشياء ببعض، فما يعجبه منها يعدّه جميلاً. ونفي الجمال عمّا يتنفّر منه إنّما هو بحسب إدراكه وبالنسبة إلى نفسه، ولا ينافي ذلك كونه جميلاً عند موجود آخر، كما أنه لا ينافي كونه جميلاً بحسب وجوده، مع صرف النظر عن مقايسته إلى موجود آخر.

(٦)

الوجود مطلوب لكلّ موجود، ولذا فإن كل إنسان بل كل موجود شاعر فإنه يحبّ نفسه، ويحبّ مقوّمات وجوده ومكمّلاته. وإذا أُتيح له مشاهدة ذاته لرآها تفيض بالجمال، وهذا بحسب وجوده، مع صرف النظر عن مقايسته الى شيء آخر. وهكذا الحال في شهود كل وجود.

فإذا أفاض الله على عبد بمعرفة – شهودية وعلم حضوري– بمراتب الوجود العالية لأدهشه جمالها، ولقضى عجباً وخرّ صعقاً. فعرف أن الوجود في ذاته جميل، وعرف مغزى قوله تعالى «**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه**».

فالوجود بوصف انه مطلوب لكل موجود وأنّ كل موجود يحبّه ويلتذّ به فهو جميل كما انه خير. وكلّما كانت مرتبة الوجود أشدّ كان أجمل، والعالم بمجموعه جميل، وإنما القبح والشرّ يأتيان من المقايسة والنسبة.

(٧)

انجذاب النفس إلى الجميل إنما هو لمصلحة لها فيه وانتفاعها به فغايته إستيفاء ما في الجميل من المصلحة والمنفعة. فانظر إلى ما في الاشياء الجميلة من المنافع العظيمة للإنسان، ولولا جمال منظرها لما انعطف قلبه إليها وما استفاد منها. فجمال المناظر الطبيعية هو الذي يجرّ الإنسان إلى معالجتها والتفكّر فيها، وجمال الطفل هو الذي يأخذ بقلب الأُمّ ويدفعها الى تربيته. وهكذا. ولا يخفى الدور الذي يؤديه الجمال في الزواج و سائر شؤون الحياة الإجتماعية.

قال تعالى: «**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِب**».

وقال: «**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُون**»

وقال: «**خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِد**». وقال عزّ اسمه: «**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**».

ومن المعروف حبّ النبيﷺ للطيب والزينة، وروي أنه كان إذا أبرد بريداً اختار حسن الوجه. وقد ثبت أن من مرجّحات إمام الجماعة صباحة الوجه. وروي «أُطْلُبُوا الْخَيْرات عِنْدَ حسان الوُجُوه» كما روي أنه «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآن». و روي «إِنَّ اللّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَال».

فللإنسان الالتذاذ بالجمال في مختلف مراتبه ومظاهره والانتفاع بمنافعه في شتّى شؤون الحياة مادام لا يعارض مصلحة أقوى، ولا يمنعه من الترقي إلى مرتبة أعلى. وقد تكفلّت الشريعة الغرّاء ببيان موارده ورسم حدوده.

والانجذاب إلى الجمال قد يعين على التخلّص من المرتبة النازلة إلى الراقية، وذلك مثل الإنجذاب الى لطائف الصور والمعاني لمن لم يتخلّص بعد من مرتبة البهيميّة، وهكذا في كلّ جمال يكون أعلى شأنا بالنسبة الى الحال الفعليّ للإنسان. ومن البديهي أن ذلك يختلف بحسب اختلاف الأشخاص والأحوال، فالإنجذاب إلى جمال خاص يكون معيناً على الترقي لانسان، وهو في الوقت نفسه يكون موجباً لتنزّل انسان آخر.

(٨)

وهناك نحو انجذاب آخر للنفس الى الجميل، يستغرق لبّه ويُنسيه كل شيء سواه، ولا يصلح استيفاء المنافع غايةً لهذا الانجذاب التامّ، بل يبطل عنده ما يترتّب على المراتب النازلة من المصالح المشار اليها. ولذا اعتبره كثير من اهل النظر زيغاً وانحرافاً عن مجرى الفطرة، ومرضاً وجنوناً.

والذي نراه أن في فطرة الإنسان مبنى لهذا الحبّ، والزيغ والانحراف ان كان فانما هو في تعيين المتعلَّق لا من حيث اصل التعلّق.

ولتبيين هذا نقول: إن من المشاعر الفطرية في الإنسان الشعور بالخضوع تجاه الكمال الذي لا يطمع في إلحاقه بنفسه وقيامه به بعينه. وحينئذ يحبّ هذا الكامل ويتلذّذ بإظهار الخضوع له، وغاية مطلوبه منه ان يتّحد به ويندكّ فيه. ومن مظاهره حبّ التقرّب إليه والإلتصاق به. و ألذّ الأشياء عند هذا المحبّ أن يرى وجوده فانياً في محبوبه قائماً به، و من مظاهره اتباع إرادته له و التشبّه به في صفاته وشؤونه.

وهذه المرتبة من الحبّ إنّما تطلب ممن يمكن قيام ذات الانسان به وتعلّق روحه وشراشر وجوده عليه، وهو ليس إلاّ من هو في سلسلة علله المفيضة للوجود عليه. وحيث إن وجود كل شيء وجماله مستفيض من غيره سوى الحق تعالى، فإن المطلوب أوّلاً وبالذات هو هو.

تقديس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الشيخ حسين كوراني

القدس في اللغة الطهر، وليس السبب في الطهر المعنوي إلا سلامته من شوب الباطل، ومن هنا كان «القدوس» على الإطلاق هو الحق المطلق.

والحق في اللغة: «هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره. من حقّ الشيء، يحقُّ، إذا ثبت ووجب. وفي اصطلاح أهل المعاني: «الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل».

و الباطل في اللغة: هو ما لا ثبات له عند الفحص عنه.

ولئن اختلف الناس في تطبيق الحقيقة المطلقة على مصاديقها فإنهم متفقون على ثلاثة محاور:

«قداسة» الحقيقة، بمعنى أنها القيمة المقدسة التي لايجوز النيل منها بوجه من الوجوه.

إن مقدار تجلي الحقيقة في أي مجال، فرداً كان أو جماعة، أو فكرة، أو شيئاً. يكسب هذا المجال من «القداسة» بمقدار تجلي الحقيقة فيه.

وانطلاقاً من محورية الإنسان وتميزه بين المخلوقات بلحاظ أنه الأقدر على التفاعل مع الحقيقة، فمن البديهي أن يكون للإنسان الذي تتجلى الحقيقة فيه، موقع طليعي بين سائر مجالات تجلي الحقيقة.

يشكل ما تقدم أصلاً في الفكر البشري، لا يقع الإختلاف إلا في تطبيقه، وعليه تتفرع المسلمات المجمع عليها بين الناس أجمعين من احترام الوطن، والقانون، والحريات، وغير ذلك، بل تتفرع عليه أيضاً المسلّمة المجمع عليها من إنزال أقصى العقوبات بمن يتطاول على قدس هذه المسلّمات، فإذا بخيانة الوطن مثلاً «الخيانة العظمى» التي تستتبع القتل.

وحيث إن الحقيقة المطلقة في الرؤية التوحيدية هي الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ كان من الطبيعي أن لا تسبغ القداسة بالأصالة إلا على الله تعالى، وتسبغ القداسة بالتبعية على كل تجلٍّ للقدس الإلهي بمقدار مايكون التجلي.

هو الحق:

كثيرة هي الآيات المباركة التي تؤكد أصل أن الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ومنها:

١- الآية المشار إليها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحج: ٦

٢- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ لقمان: ٣٠

٣- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ النور: ٢٥

٤- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ المؤمنون: ١١٦

٥- ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ الأنعام: ٦٢

٦- ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يونس: ٣٠

٧- ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يونس: ٣٢

في الدلالة:

قال الشيخ الطوسي: «وصْفُه تعالى بأنه الحق يحتمل أمرين: أحدهما: أنه ذو الحق في قوله وفعله. الثاني: أنه الواحد في صفات التعظيم التي من اعتقدها، فهو محق.

يريد بالأول: كما تقول العدل وتقصد العادل المتمحض فيه. وفي مكان آخر قال رحمه الله: «ذلك بأن الله هو الحق: الذي يجب توجيه العبادة إليه». أي انطلاقاً من أن العبادة هي قمة التعلق بالحقيقة والذوبان فيها.

وقال القرطبي: «كل ما سواه وإن كان موجوداً حقاً فإنه لا حقيقة له من نفسه، لانه مسخّر مصرّف.

والحق الحقيقي: هو الموجود المطلق الغني المطلق، وأن وجود كل ذي وجود عن وجوب وجوده، ولهذا قال في آخر السورة: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الحج: ٦٢.

والحق الموجود الثابت الذي لا يتغير ولا يزول، وهو الله تعالى».

يريد أن الواقعية والحقانية تدوران مدار الوجود القطعي،

وحيث إن كل موجود يفتقر إليه تعالى، فإن كل حقانية فرع وجوب وجوده عز وجل، فهو الحق المطلق، ويلتقي مراد القرطبي بما يأتي عن السيد الطباطبائي.

قال السيد الطباطبائي: «المراد بالحق هو الحق نفسه، أعني أنه ليس وصفاً قائماً مقام موصوف محذوف هو الخبر، فهو تعالى نفس الحق الذي يحقق كل شيء حق ويجري في الأشياء النظام الحق، فكونه تعالى حقاً يتحقق به كل شيء حق، هو السبب لهذه الموجودات الحقة، والنظامات الحقة الجارية فيها، وهي جميعاً تكشف عن كونه تعالى هو الحق.»

وقال في مكان آخر: «وإذا كان حقية الشيء هو ثبوته فهو تعالى حق بذاته، وغيره إنما يحق ويتحقق به. وإذا تأملت هذا المعنى حق تأمله وجدت أولاً: أن الأشياء بأجمعها تستند في وجودها إليه تعالى، وأيضا تستند في النظام الجارى فيها عامة، وفى النظامات الجزئية الجارية في كل نوع من أنواعها وكل فرد من أفرادها إليه تعالى».

وقال أيضاً: «وقد تحقق مما تقدم أن الحق في معنى الواجب الوجود».

وحول الآية المباركة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ قال قدس سره:

«والحصران في قوله: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ إما بمعنى أنه تعالى حق لا يشوبه باطل وأن ما يدعون من دونه وهي الأصنام باطل لا يشوبه حق، فهو قادر على أن يتصرف في تكوين الأشياء وأن يحكم لها وعليها بما شاء. وإما بمعنى أنه تعالى حقٌ بحقيقة معنى الكلمة مستقلاً بذلك، لا حق غيره إلا ما حققه هو، وأن ما يدعون من دونه وهي الأصنام بل كل ما يركن إليه ويدعى للحاجة من دون الله هو الباطل لا غيره إذ مصداق غيره هو الله سبحانه فافهم ذلك، وإنما كان باطلاً إذ كان لا حقية له باستقلاله، والمعنى – على أي تقدير – أن ذلك التصرف في التكوين والتشريع من الله سبحانه، سبب أنه تعالى حق يتحقق بمشيته كل حق غيره، وأن آلهتهم من دون الله وكل ما يركن إليه، ظالمٌ باغٍ من دونه، باطلٌ لا يقدر على شيء».

وخلاصة الأرجح في ماتقدم من الآراء أن الثابت الذي وجب ثبوته وحق، والذي يكتسب منه كل حق حقانيته هو الحق المطلق عز وجل.

الحق المبين: ولا بد من الوقوف بعناية عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ والمبين هو الذي يوضح غيره ويبينه، ولئن استعمل بما يشي بغير ذلك كما في «البلاء المبين» و «الخسران المبين» فإن سبب استعماله هو كونه من غاية الوضوح بحيث يصبح مبيناً لكل أحجام ما عداه من البلاء أو الخسران وغير ذلك.

وعليه فالحق المبين مصطلح يحمل معنى الحق الذي لاتتضح حقانية أي شيء إلا به ومن خلال الإرتباط به، والوقوع في صراطه الوجودي أو التشريعي الحق.

قال السيد الطباطبائي: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾. والآية من غرر الآيات القرآنية تفسر معنى معرفة الله فإن قوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ ينبئ أنه تعالى هو الحق لا سترة عليه بوجه من الوجوه ولا على تقدير من التقادير فهو من أبده البديهيات التي لا يتعلق بها جهل. لكن البديهي ربما يُغفل عنه. فالعلم به تعالى هو ارتفاع الغفلة عنه الذي ربما يُعبّر عنه بالعلم، وهذا هو الذي يبدو لهم يوم القيامة فيعلمون أن الله هو الحق المبين».

يتضح مما تقدم:

١– أن من المسلمات العقلية تقديس الحق.

٢– أن الله تعالى هو الحق المطلق.

وعليه فالتقديس من حيث الأصل والمبدأ منحصر به تقدست آلاؤه وجل ثناؤه.

هل ينافي ذلك تقديس غيرالله تعالى:

قال العسكري: وقال بعض المحققين: التسبيح هو تنزيه الله عما لا يليق بجاهه من صفات النقص. والتقديس: تنزيه الشيء عن النقوص. والحاصل أن التقديس لا يختص به سبحانه بل يستعمل في حق الآدميين. يقال: فلان رجل مقدّس: إذا أريد تبعيده عن مسقطات العدالة ووصفه{بالخير}ولا يقال: رجل مسبّح، بل ربما يستعمل في غير ذوي العقول أيضاً، فيقال: قدس الله روح فلان، ولا يقال: سبحه. ومن ذلك قوله تعالى: «ادخلوا الأرض المقدسة «..» يعني أرض الشام. وأما قول الملائكة: (سبوح، قدوس) مع أن المناسب تقديم القدوس ليكون ذكره بعده ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، فلعله للإيذان من أول الأمر بأن المراد وصفه سبحانه دون غيره. انتهى. وهو تحقيق أنيق *

ولاينافي عدم حصر التقديس به سبحانه، أن هذا الحصر ثابت له عز وجل من حيث الأصالة والمبدأ، ولكنه يسري إلى ماتجلت فيه حقانية الحق، فمن الواضح أن التقديس للإنسان والمكان والزمان، رهن الحقانية المتجلية فيه، وهو نفس معنى أن الله تعالى هو الحق وأن حقانية كل شخص أو شيء فرع اتصاله به سبحانه.

القداسة قيمة معرفية:

على العكس من السائد في تحميل معنى القداسة أعباء الطواغيت الذين فرضوا تقديسهم على الناس، أو خُدع الناس بهم فقدسوهم، فإن القداسة في حد ذاتها قيمة معرفية هي غاية في السمو والنبل
والعقلانية، لأنها تنطلق من الآتي:

- إصرار العقل على معرفة الحقيقة.
- إصراره على التمييز بينها وبين الباطل الهباء، وبذل كل جهد عقلي – صريح لعدم الإغترار بما فيه شوب الباطل.
- والإصرار على معرفة سبل تجلي الحقيقة في ميادين الحياة وأصناف الموجودات.
- الإصرار على معرفة الطرق التي تجعل الفرد في عقيدته والسلوك تجلياً من تجليات الحقيقة بحسبه، يغذ السير في دروب التماهي معها والتكامل بها.

التقديس وكرامة الإنسان:

في ضوء ماتقدم، لاينبغي الفصل بين التقديس وبين كرامة الإنسان، سواء أردنا من التقديس قيام الإنسان بتقديس الحق والحقيقة، أم أردنا به قداسة الإنسان وكونه أهلاً للتقديس، حيث إن المحور في ذلك كله «قدس الحق» و «قداسة الحقيقة» وبما أن الإنسان هو المؤهل الوحيد وبامتياز لمعرفة الحقيقة والتزامها والتفاني في الذوبان فيها حتى العبادة، فإن الحديث عن قداسة الحقيقة، هوالوجه الآخر عن حديث «كرامة الإنسان»، تماماً كما هو العلم الوجه الآخر لقيمة العالِم.

يضاف إلى ذلك في باب المردود العملي للتقديس، أنه لاقداسة بمعزل عن الفائدة العملية للناس، فليس المقدس هو الذي يأخذ من الناس، بل هو الذي يعطي ولا يحتاج أن يأخذ شيئاً، حتى الولاء فإن من احتاج إليه ليتقوم به، ليس مقدساً.

وما تلازم التقديس مع المردود العملي، إلا لون آخر من ألوان «كرامة الإنسان».

قداسة كل بحسبه:

تكشف هذه القداسة الحصرية للحقيقة أي للحق تعالى، أن كل قداسة تنسب إلى غير الحقيقة، فإنما هي مستمدة من التزامها الحقيقة، ولذلك فهي مكتسبة من درجة هذا الإلتزام، فليست القداسة لشخص أو لمكان أو زمان، أمراً اعتباطياً، بل هي وفق معايير دقيقة وتخصصية تقوم على قاعدة قداسة الحق والحقيقة، ولذلك فهي إن ثبتت في مورد معين، فلا بد من معرفة درجتها والحدود.

الثابت والمشروط:

كما تكشف قاعدة التفريق بين المقدس لذاته وبين المقدس لالتزامه الحقيقة، أن من القداسة ما هو ثابت للمقدّس، ومنها ماهو مشروط ببقاء هذا الإلتزام وعدم الخروج عنه، فرب مقدّس ينقلب على عقبيه، ورب غير مقدس يصبح مقدساً، وبينهما مراتب لاتخفى.

أقرب الخلق إلى الحق سبحانه:

كما يرتبط تقديس سيد الأنبياء والخلق أجمعين، المصطفى الحبيب ﷺ، بتقديس الحقيقة جذرياً، فإن تقديس أي إنسان أو غير إنسان مرتبط جذرياً بتقديس رسول الله ﷺ، فهو التجلي الإنساني الأتم للحقيقة المطلقة، بمعنى أن كرامة الإنسان عند الله تعالى تدور مدار الحقيقة المحمدية التي تمحضت في تجلية الحقيقة المطلقة، فإذا هي منها، بقدرة الله تعالى وحوله سبحانه وقوته.

«من يطع الرسول فقد أطاع الله» «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني» «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم { وأرادوا التوبة } جاؤوك» !!

تقديس الأنبياء والرسل:

يتضح بجلاء أن تقديس الأنبياء والرسل عليهم السلام، جميعاً أو فرادى، لاينفصل عن تقديس المصطفى الحبيب، لسببين:

أن تقديسه ﷺ يتضمن تقديسهم عليهم السلام، حيث إن المؤمن به يؤمن بجميع رسل الله تعالى وأنبيائه.

كما أن تقديس كل منهم فرع التزامه الحقيقة التي لم يبلغ أحد منهم مرتبة تجليها الأتم غيره، ومن هنا كان صلى الله عليه وآله الشاهد على الأنبياء، ولم يبعث نبي إلا على الإعتراف له صلى الله عليه وآله بالنبوة.

تقديس أهل البيت:

ويلحق بتقديس الرسول ﷺ تقديس أهل البيت عليهم السلام، بل تقديسهم تقديسه، فهم منه صلى الله عليه وعليهم كالضوء من الضوء، وقد أجمعت الأمة على تلقي ما روي عنه صلى الله عليه وآله في حقهم عليهم صلوات الرحمن، على قاعدة أنهم حقيقة محمدية وشأن نبوي، ولذلك لا يشك موحد في أن على كل صحابي أن يحبهم، وإلا فإنه خارج عن شرف الصحبة.

قال الشيخ المفيد:

«.. قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ

بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾آل عمران: ٨١

يعني رسول الله ﷺ. فحصلت البشائر به من الأنبياء أجمعهم قبل إخراجه إلى العالم بالوجود، وإنما أراد جل اسمه بذلك إجلاله وإعظامه، وأن يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلها، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه وأشخاص أهل بيته عليهم السلام، وأثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم ويبين له عن محلهم عنده ومنزلتهم لديه، ولم يكونوا في تلك الحال أحياء ناطقين ولا أرواحاً مكلفين، وإنما كانت أشباحهم دالة عليهم حسب ما ذكرناه».

وقال رحمه الله تعالى: «بشر الله تعالى الانبياء المتقدمين بنبينا محمد ﷺ قبل وجوده في العالم. فقال سبحانه (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يعني رسول الله ﷺ (قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) يعني عهدي (قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال جل اسمه (النبي الا مي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)فكان نبينا عليه والله السلام مكتوبا مذكورا في كتب الله الاولى، وقد اوجب على الامم الماضية معرفته والاقرار به وانتظاره، وهو عليه السلام وديعة في صلب آبائه لم يخرج إلى الوجود.

وقال الشيخ الصدوق:« ويجب أن نعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمد والائمة، وأنهم أحب الخلق إلى الله، وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى). وأن الله تعالى بعث نبيه محمداً ﷺ إلى الأنبياء في الذر. وأن الله تعالى أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته نبينا، وسبْقه إلى الإقرار به،وأن الله تعالى خلق جميع ما خلق له ولاهل بيته عليهم السلام وأنه لولاهم لما خلق الله السماء والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة ولا شيئاً مما خلق. صلوات الله عليهم أجمعين.

تعظيم شعائر الله، تقديسها:

حول معنى تعظيم شعائر الله في قوله تعالى: « .. ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب» تلتقي كلمات العلماء الأعلام من الفريقين على الآتي

١. أن المراد بشعائر الله علامات الدين وأعلامه.
٢. أن المحور في هذا التعظيم هو نسبة المعظّم إلى الله تعالى.
٣. أن هذا التعظيم يشمل الأشخاص، والأشياء.

المؤامرة الشيطانية:

هل يمكن أن يكون تلاقي الشياطين الغربيين من أميركيين وغيرهم، مع شياطين الخوارج على ضرب قدسية رسول الله ﷺ، مجرد صدفة؟ أم أنها مؤامرة شيطانية واحدة تعددت مظاهرها؟

هل من باب الصدفة أن يتم تفجير قبة العسكريين عليهما السلام؟

وهل من باب الصدفة أن نجد في مكة شارعاً باسم أبي لهب، ولا يمكننا أن نجد أي أثر للبيت الذي عاش فيه رسول الله ﷺ مع سيدتنا أم المؤمنين خديجة، بل ولانجد أي أثر للأماكن الكثيرة المرتبطة به صلى الله عليه وآله تاريخياً، ماعدا مكتبة مكة المكرمة! التي هي في الأصل البيت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، ولايسمح لمسلم بالدخول إليه، بل ويصد عنه كل من يقترب منه بنية السلام على المصطفى الحبيب والتبرك برؤية هذا المكان المقدس.

لقد استطاع نكراء الوهابية أن يحمل النظام في الحجاز – إلى وقت قريب – على الدفاع عن تشوهاته وتزييفاته طيلة الفترة الماضية، وها هي بوادر العودة إلى المجمع عليه بين المسلمين من قبل النظام تتعاظم يوماً بعد يوم.

لابد لكل موحد من أن يطيل الوقوف عند القاسم المشترك بين هؤلاء الذين يصرون على ضرب علاقة المسلم بمن لايقبل الله تعالى إسلام مسلم إلا بالوقوف ببابه والتفاني في حبه وحب عترته ﷺ، وبين المؤامرة الأميركية– الغربية التي كان آيات الشيطان رشدي مظهرها الأول، ولما فشلت أطلت المؤامرة نفسها برأسها من جديد في الصور المسيئة للمصطفى الحبيب التي صرح بوش نفسه بضرورة عدم السماح للمحتجين عليها بأن يحقّقوا ما يريدون.

إن القاسم المشترك المشار إليه هو بالتأكيد إدراكهم لحقيقة أن البنيان التوحيدي كله يرتكز على القاعدة التي حددها الله تعالى لتثبيت توحيده سبحانه بين الناس، وهي العلاقة العقلية والقلبية العارمة بالحب والشوق والحنين إلى رسول الله ﷺ.

وكما أدركت المخابرات البريطانية يوم كانت بريطانيا القطب الأوحد! هذه المعادلة وعملت على ضرب علاقة الأمة بنبيها، فقد أدركت المخابرات الصهيونية– الأميركية المعادلة نفسها، وزادها إصراراً على نفس المؤامرة الشيطانية، هذه الصحوة الإسلامية الخمينية الهادرة التي ضيقت على الكفر الخناق، والتي لايشكل وقوع الغدة السرطانية بين ناري حماس وحزب الله، والتوثب الإسلامي المتنامي في العديد من المواقع، إلا بعض مظاهرها.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾الصف: ٨